سنة حرب

انتصار في الجنوب وتعثُّر في الشمال

لماذا يتوقف الحسم في صرواح ونهم؟!

كيف تخطط بعض القوى لوقت ما قبل الحسم؟

الأمناء / قسم التحليل السياسي

تدخل الحرب سنتها الثالثة، ولم تراوح مكانها، إلا من انتصارات ساحقة في الجنوب وتمَّ ذلك في وقت مبكّر، حيث حسم الجنوبيون خيارَاتهم على الأرض التي لا تمثل حاضنة لوجود الحوثيين الذين تناصرهم إيران والرئيس المخلوع صالح، الذي ظل يعيرِ الجنوبيين بتبعيتهم لإيران، إلا أن الأدوار دارت وأضحى عدو الإمامة إماماً وحليفاً رسمياً لمليشيات الحوثي ومن ورائهم إيران الشيعية، وباعتراف رسمي على شاشة قناته "اليمن اليوم"، ليصبح الوضع محرجاً للكثير من المناطقيين الذين كانوا ينتقدون بشكل مؤسف للغاية، الحراك وتبعيتهم للضاحية الجنوبية لبيروت، لكنهم الآن باتوا حلفاء أمام الملأ كله ومن دون وساطة حزبٍ أو جماعة، بل ارتبط مصيرهم بشكل مباشر مع إيران، التي كانت تطمح لأن تضع لنفسها أرضية في الجنوب بمساعدة تلك المليشيات الغازية.

ونجح الجنوبيون في إسقاط كل تلك الرهانات، ومنعوا الخليج من أن يقع تحت وطأة الكماشة الإيرانية وسيطرتها على أهم المضائق البحرية في العالم؛ داحضين كل الأكاذيب والتزييفات والإرهاب، التي كانت تمارسه قوى شمالية لإسكات الصوت الجنوبي ومنع تغوُّله في دول الخليج العربي على وجه الخصوص، عبر علاقات دبلوماسية لنظام صنعاء.

وكانت التهم تتوالى على أن الجنوبيين باتوا يعتنقون الفكر الصفوي، وأصبحوا مناصرين للشيعة في إيران؛ لكن الحرب وميدان الفعل لا القول، قطع دابر ومكر تلك الألسن، التي ظلّت تنعق بهذه الأحاديث العارية عن الصحة، والتي كان قصدها الأساس التشويش على حركة الاستقلال الوطنية، التي تتعاظم جهودها يوماً إثر آخر في الجنوب؛ حتى باتت القناعات الجنوبية و بعض الخليجية تتزحزح صوب عودة الوضع إلى ما كان عليه في السابق قبل العام 90م، وإنهاء حالة التشوه التي كان لديها نتيجة الحشو بالمعلومات الخاطئة، أو ببعض الاختراقات التي حققها نظام صنعاء في الجسد الجنوبي، نتيجة ضخه أموالاً باهظة لهذا الغرض.

وظل صالح ومنظومته الحاكمة سنوات عديدة وهي تشوّه وتزوّر، كلما من شأنه أن يسيء فهم الخليج للجنوبيين ومطالبهم المشروعة والمطالبة بالانعتاق من تلك الهيمنة والغزو الذي تم في 94م.

صرواح ونهم

ومع استمرار الحرب ودخولها السنة الثالثة دون تحقيق أي أهداف حقيقية مرجوّة في الشمال لصالح الدور العربي الأصيل، وتعثرها ضد النفوذ الإيراني الذي وجد بيئة متعاظمة في المقابل هناك في الشمال، مع علم البعض من أبناء الشمال بأن الخليج هو امتدادهم العروبي، وكذا الاقتصادي والجغرافي؛ لكن الأكثرية يعتنقون المنهج الزيدي، الذي يتعاطف كثيراً مع الشيعة في إيران.

وتظل الحرب راكدة في جبهتين مهمتين وفاصلتين (صرواح ونهم)، إذا ما تحركتا إلى الأمام، لكن المحللين السياسيين يربطون جبهتي صرواح ونهم بمصالح القوى التي تنضوي تحت جلابيب الشرعية، وكذا استفادتهم الكبيرة من تقوية نفوذهم وقوتهم الخاصة التي يهيئونها لما بعد الحرب، ليسيطروا على الشمال والجنوب بقواتهم ومالهم الذي اكتسبوه قبل وبعد الحرب من دول الخليج.

المستفيد الأكبر

وحسب قول المحللين والمراقبين السياسيين، فإن المستفيد الأكبر هي تلك القوى التي تتبع حزب الإصلاح "الإخوان المسلمين فرع اليمن"، وبعض التجار والعسكر، من أصحاب قوى النفوذ التي كانت شريكة لنظام صالح، والتي باتت الآن تتهيأ لمعركة كسر العظم بما يتناسب وخصوصيتها، وذلك مع خصمها الأقل أهمية من الخصم القادم، الذي يطمح لأن ينهي وجودها السياسي، لأن فكرها هو الفكر ذاته الذي يحمله صالح والحوثيين، ولكن بطرائق أخرى.

وتضع جماعة الإصلاح حساباتها الحقيقية لما بعد الانتصار على صالح، وكيف سيكون وضعها، أمام جملة التغييرات الحادثة، وتداعيات الانتصار المنشود.

ويعزو المراقبون السياسيون سبب تأخر الحسم في هاتين الجبهتين إلى حسم مسألة السيناريوهات القادمة، وضمان المصالح والسيطرة على الجنوب قبل الشمال، وهذا حسب قولهم، ما يفسر إنشاء قوى ضخمة مدربة ومسلحة ومجهزة في مأرب.

وتم مؤخراً الضغط السياسي لجعل مأرب العاصمة الاعلامية، وكذا تأسيس عاصمة مزدوجة ورفض تحويل الأموال إلى البنك المركزي الذي تم سحبه من صنعاء إلى عدن، لكن بنك مأرب رفض الانصياع للتوجيهات الرئاسية، التي تقضي بجعل عدن عاصمة فعلية بكل المقومات.

سيناريوهات السيطرة والتركيع للجنوب

وتشهد المناطق الجنوبية والعاصمة عدن تدهورا ملحوظا، فلم تعد الخدمات فيها، رغم دخول الحرب عامها الثالث، وكذا عدم صناعة مقومات حقيقية لها كعاصمة، وهذا ما يؤكده عدم عودة "قناة عدن" إلى العاصمة المحررة، وهكذا يتم نزع اللبنات التأسيسية لعاصمة حقيقية، وهذا يبرز بشكل واضح من تخوف القوى الحاكمة ممثلة بالإخوان المسلمين في اليمن وقوى النفوذ الأخرى، وعودتهم للسيطرة على الجنوب من جديد، أو وقوعها تحت خيار الغرق، الذي ستشجعه، بضخ أموالها، وشراء الذمم والولاءات العسكرية، وممارسة كل ما كان يمارسه صالح وهذا من ضمن مخططهم الكبير، وسيتحكمون بوسائل الإعلام، وبالمال الذي تم إبقاؤه في مأرب، ليصبح الجنوب حينها مختنقا، ولا يجد من يدفع لمواطنيه ومجنديه الرواتب، وبالتالي وقوعهم أمام خيار حتمي وتركيعي للقوى المتعاظمة الجديدة ضد الجنوب وأهله، وهكذا يبقى الجنوب معهم عبر تمسكهم بتنفيذ خططهم، ولن يكون النموذج المحتمل أكثر مما هو الآن كائن، من الفشل الذريع الذي نراه ونلمسه رغم الدعم الذي لم ينقطع عن الجنوب لكنه ليس كافيا، وهذا هو عبارة عن سيناريو أولي فقط، لسيناريو التركيع والإخضاع للجنوب ومواطنيه المرهقين والمتعبين من الحروب التي يخوضونها ، حتى خارج حدودهم.

تنفيذ المرجعيات دون إنصاف الجنوب

وحسب وجه نظر أحد السياسيين الذي يقول: أنه كي تُنفذ تلك المرجعيات (المبادرة الخليجية ومخرجات الحوار الوطني) دون إنصاف الجنوب والجنوبيين وعودة الشعب الجنوبي إلى باب اليمن وزريبة الوحدة وهي أقرب إلى الفكاهة أو الكوميديا السوداء، إن تلك القوى الشرعية أو الإقليم أو المجتمع الدولي كي ينفذ تلك المرجعيات عليه عمل الآتي :

- تنفيذ تلك الأهداف بالقوة العسكرية وفرضها على شعب الجنوب بقوة الإلزام القسري الإجباري وهذا طبعا مستحيل، فهل هناك قوة تستطيع فعل ذلك؟! وسيكون ذلك سابقة تاريخية خطيرة.
- تهجير الشعب الجنوبي من أرضه بالقوة إلى شتى بقاع المعمورة وهذا الترانسفير يبدو مستحيلا في القرن الحادي والعشرين ومن هي الجهة التي لديها القدرة على تنفيذ ذلك.
- إبادة شعب الجنوب حتى تبقى الأرض دون شعب كي تحل بدلاً عنهم جحافل الاستيطان .. فهل يجرؤ أيّاً كان على القيام بذلك الفعل؟! ، وهذا أيضا يبدو من المستحيلات في ظل الواقع المعاش .

إذن في الأخير وبقليل من الجهد والتكاتف والفكر السياسي الفاعل والعمل الدؤوب وتوحيد الأهداف والثوابت الوطنية والعمل الجدي المبرمج يستطيع الجنوب الوصول إلى مبتغاه وأهدافه وسيفرض على العالم ما يصبو إليه شاء من شاء وأبى من أبى ، وفي الأخير نقول للجميع (الرداء المليء بالثقوب لايقي من حر الصيف ولا برد الشتاء) إن كنتم لا تعلمون !!.